Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

منهجية " محمد بن عامر الاخضري البسكري" في شرحه لألفية ابن مالك

عبد القادر ياشي
جامعة وهران- الجزائر
yachi-Abdelkader@hotmail.fr

Abstract: *Authoring in Arabic grammar did not confine itself to repetition, but rather suprpassed it to make grammatical issues in the form of systems" Moutoun" to facilitate the science of knowledge, and one of the most famous grammatical systems is Alfiya ibn Malik, which was popular among researchers and students of science. Among the scholars who responded to its explanation was "Muhammad bin Amer Al-Akhdari Al-Bskari" Al-Jazaery. So, it was necessary for us to shed light on this explanation and this figure who lived in the Ottoman era, highlighting his approach, opinions and sources adopted in his explanations. The researcher concluded through this study that the commentary and expalanations on Ibn Malik's Al-Alfiya in that era is considered to be one of the great works that witnessed the highness of Ka'ab Lakhdari in the sciences of the Arabic language.*
Keywords: *Alfiya, Ibn Malik, Grammar, Al-Akhdari, Al-Moutoun.*

ملخص: لم يقتص التأليف في النحو العربي على التقعيد فحسب بل تعده إلى جعل المسائل النحوية في شكل منظومات تيسيرا للعلوم، ومن أشهر المنظومات النحوية ألفية ابن مالك التي لاقت إقبالا من قبل الباحثين وطلاب العلم، فأصبحت محور نشاط الباحثين واهتمامهم شرحاً ونظماً وتعليقاً وتقييداً وإعراباً، ومن بين العلماء الذين تصدوا لشرحها " محمد بن عامر الاخضري البسكري " الجزائري، فكان حريا بنا ان نسلط الضوء على هذا الشرح وهذه الشخصية عاشت في العصر العثماني، مبرزا منهجه وآراءه ومصادره فيها. كما خلص الباحث في الأخير إلى أنّ شرح الألفيّة لابن مالك في ذلك العصر يُعدّ من الأعمال العظيمة الّتي تشهد لعلو كعب لأخضري في علوم اللغة العربية.
الكلمات المفتاحية: الألفية، ابن مالك، النحو، الأخضري، المتون.

مقدمة

لقد اهتم علماء اللغة عبر العصور بالنحو العربي اهتماما بالغا، ولم يقتصر ذلك على التقعيد والتأليف فحسب بل ظهر ميلهم إلى جعل المسائل النحوية في شكل منظومات ومتون قصد تيسيرها على الباحثين وطلاب العلم، مما أكسب النحو العربي ثراءَ علميا وأفكاراً جديدة تجلّت في اجتهادات العلماء وكذا القيمة الكبيرة التي حظيت بها المنظومات والمتون.

وتعد ألفية ابن مالك من أشهر المنظومات النحوية على الاطلاق التي لقيت إقبالا وشيوعاً من قبل الباحثين وطلاب العلم فيما مضى وحتى الآن، فأصبحت محور نشاطهم ما

أدى إلى انصراف الكثير من الدارسين عن كتب النحو مثل الكتاب لسيبويه[1] والايضاح العضدي[2] لأبي علي الفارسي والمقتضب[3] لأبي العباس المبرد والخصائص[4] لابن جني فأقبلوا عليها شرحاَ ونظماَ وتعليقاَ وتقييداَ وإعراباَ ووضع حواش حولها في حلّة جديدة ، فذاع صيتها وسار ذكرها عبر بقاع العالم العربي و الاسلامي وما تزال تدّرس في أكبر الجامعات والمعاهد المتخصصة وكان من أهم أسباب هذا الاقبال العظيم كونها نظما ، إذ النظم أكثر علوقاَ بالذاكرة وأسهل حفظا عكس النثر[5] ، كما أنّها تتمتع بموسيقى داخلية و ايقاع موسيقي تطرب الأذن لسماعه ناهيك عن بساطة لغتها وسلاسة ألفاظها ومفرداتها.

ومن بين العلماء الجزائريين الذين شرحوا الالفية " محمد بن عامر الاخضري البسكري " الملقب ب"الصغير"، فكان حري بنا كباحثين ان نسلط الضوء على هذه الشخصية الفذة التي عاشت في العصر العثماني.

أصله

أصل محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري راسخ النسب فهو ينتمي إلى بطن من بطون الذواودة المنتمين إلى قبيلة الأخضر بن عامر ابن رياح، وهذا الرّأي أخذ به كثير من المترجمين[6] منهم على سبيل المثال: نسبه إلى الجبل الأخضري الواقع بليبيا وهذا ما أورده مخلوف الميناوي في حاشيته على شرح الدمنهوري[7] ويرى عبد القادر نور الدين أنّه ينتسب إلى الجبل الأخضري بطرابلس لأنّ أسلافه أقاموا بها.[8]

[1] الكتاب لسيبويه: من المصادر في النحو العربي طبع عدة مرات أجودها تحقيق عبد السلام هارون.

[2] الإيضاح العضدي لأبي على الفارسي من الكتب النحوية المختصرة طبع عدة مرات تحقيق حسن الدكتور حسن شاذلي فرهود.

[3] المقتضب لأبي العباس المبرد من أهم المصادر النحوية حققه عبد الخالق عظيمة.

[4] الخصائص لإبن جني من أجلّ الكتب التي تناولت أصول النحو والمباحث الصرفية حققه محمد علي النجار.

[5] ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون151/1 لحاجي خليفة دار الفكر الطبعة السادسة سنة 1360 هـ-1941م.

[6] ينظم معجم أعلام الإباضية من ق1هـ إلى العصر الحديث 204/1.

[7] ينظر حاشية المنياوي على شرح الدمنهوري على جوهر المكنون ص7 المطبعة العلمية مصر 1315 هـ.

[8] ينظر صفحات من تاريخ الجزائر ص 204.

ما عبد الرحمان الجيلالي[9] فيرجع نسبه إلى بطن من بطون الذواودة من أولاد رياح، وقد عزز هذا الرّأي محمد طمّار[10] وإلى هذه القبيلة أشار ابن خلدون في تاريخه.[11]

نسبه: هو محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري البنطيوسي[12] البسكري[13] الجزائري وكنيته: الصُّغَيّر (بضمّ الصاد وفتح الغين) ويعرف بالبنطيوسي نسبة إلى القرية التي ولد فيها، وقد سمي بمحمد تبركا بالرسول صلى الله عليه وسلم فأصبح اسمه مركبا محمد الصُّغير. وهو من أسرة متدينة ومحافظة ومتعلمة توارث أفرادها العلم قرونا أبا عن جد، وديارهم ديار علم فأبوه كان من أعيان المنطقة وعلمائها حافظا لكتاب الله له معرفة بأسرار اللغة وفنونها مدرسا بالزاوية التي أنشأها لهذا الغرض ألا وهي زاوية بنطيوس.[14]

مولده: ولد محمد الصُّغير بن محمد بن عامر الأخضري بواحة بنطيوس التابعة إقليميا إلى ولاية بسكرة، غير أن كل المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها لم تشر من قريب أو بعيد لتاريخ ميلاد هذا العالم الفذ وقد اتصلت بأعيان المنطقة ومفكريها فأكد لنا الأستاذ الباحث عبد الحليم صيد [15] أن مولده كان بالتقريب في منتصف القرن التاسع الهجري أو يزيد بعض الشيء.[16]

منزلته بين أهل عصره: يعتبر العلامة محمد الصّغير بن محمد بن عامر الأخضري من كبار الفقهاء وعلماء عصره، وهو أحد أعيان منطقة الزيبان، عرف بالإصلاح والتقوى[17] كان يؤم

---

[9] ينظر تاريخ الجزائر العام عبد الرحمان الجيلالي 3/ 79 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982م.

[10] ينظر تاريخ الأدب الجزائري ص 291 لأبي القاسم سعدالله.

[11] ينظر كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر 620/2 لابن خلدون تحقيق أبي صهيب الكرمي بيت الأفكار الدولية.

[12] بنطيوس: واحة من واحات الزاب الغربي تبتعد عن بسكرة بحوالي 45 كلم تشتهر بزراعة النخيل.

[13] بسكرة: إحدى المدن الجزائرية الواقعة في الجنوب الشرقي للجزائر.

[14] قمت بزيارة إلى الزاوية أين دفنت العائلة (الأب والابن والأم) وبجوارها مسجد تقام فيه الصلوات الخمس بتاريخ 30 /2012/03.

[15] عبد الحليم صيد باحث من أبناء المنطقة له اهتمامات بتراث المنطقة له كتاب: موجز عن بعض المعاصرين من فقهاء الجزائر بالإضافة إلى نشره مقالات متعددة في التاريخ والأدب.

[16] أخبرني بذلك أثناء زيارتي له في بيته الكائن ببسكرة بتاريخ 03/31/

[17] ينظر تاريخ الجزائر الثقافي 1/ 500 لأبي القاسم سعد الله ط1 دار الغرب الإسلامية بيروت.

الطلبة للتدريس في الزاوية مشافهة في مختلف صنوف العلوم من فقه وتصوّف واللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ومبادئ علم الحساب والفرائض.[18]

شيوخ العلامة محمد الصُّغير: قيّض الله للعلامة محمد الصّغير بن عامر الأخضري البسكري علماء وفقهاء أجلاّء نهل عليهم العلم الشرعي واللغوي بعيدا عن البدع والخرافات، فاتسعت معارفه وقويت شكيمته ومن هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم.

العلامة أحمد زروق الفاسي: 846هـ/899هـ

هو أبو العباس أحمد بن محمد زروق الفاسي ولد سنة 846 هـ كان حذقا وذكيا له قدرات فائقة واستعدادات تربوية هائلة، كان عصاميا شغوفا باقتناء كل ما يقع بين يديه من كتب تأتيه عن طريق الحجاج والتجار والرحالة. أقام سنوات في المغرب الأوسط متنقلا بين مدن بجاية وقسنطينة والجزائر وتلمسان طلبا للعلم حتى صار عالما بالدين، عاملا على إحياء السنة ونشر الدين الصحيح وتنقيته من الخرافات والبدع[19] فكان صوفيا ورعا يتبع الطريقة الشاذلية[20] توفي سنة 899 هـ من آثاره: له شرح على مختصر خليل والنصيحة الكافية ولمن خصه الله بالعافية وتحصيل الفوائد لذوي الوصول وكتاب البدع.[21]

عبد الله الهبطي

هو عبد الله بن محمد الهبطي من أكبر علماء المغرب كان مصلحا فذا ومدرسا ناجحا وفقيها متمرسا. ولد بضواحي طنجة شمال المغرب الأقصى سنة 890 هـ الموافق ل 1485 م حفظ القرآن الكريم في صباه على يد شيوخ القرية منهم أبو العباس الزقاق، تدرج في العلم حتى تأصلت ثقافته وتوسعت مداركه وخاصة في علم الكلام والتصوف[22]

[18] ينظر الجوهر المكنون في الثلاثة فنون رسالة ماجيستير تحقيق ودراسة بقدار الطاهر جامعة وهران.

[19] ينظر عبد الرحمان الأخضري: شخصيته ومواقفه وآثاره فوزي محمودي ص 42.

[20] ينظر الجوهر المكنون في الثلاث فنون تحقيق ودراسة بقدار الطاهر.

[21] الطريقة الشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي من أكبر الصوفية ولد بالمغرب وتوفي بمصر (ت 656).

[22] يراجع الاعلام للزركلي 128/4.

ساهم في إعداد الناشئة من خلال التدريس، فحارب الآفات الاجتماعية التي استشرت في عصره كالبدع والخرافات والفساد الأخلاقي ظل يدعو إلى القيم السامية والفضائل حتى أصيب بمرض الشلل في آخر حياته، ومن أهم أثاره:

كتاب الإشادة بمعرفة مدلول كلمة الشهادة.

مجموعة من الرسائل بعث بها إلى الحكام والملوك والعلماء تدعو الى الاصلاح.

فتاوى في العقائد.[23]

شمس الدين السخاوي

هو محمد بن عبد الرحمن شمس الدين السخاوي عالما وفقيها ولد سنة 831 هـ بالقاهرة حفظ القرآن وكثيرا من المختصرات في صباه، توسعت معارفه وتشعبت ثقافته بفضل الاحتكاك بعلماء عصره، منهم ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة 852هـ وقد لازمه وحمل عنه وأخذ عنه تصانيفه وقال عنه هو أمثل جماعتي[24]

قام برحلات متعددة هدفها تحصيل العلم منها إلى الإسكندرية والقدس والبقاع المقدسة[25] وقد التقى بالعلامة محمد الصّغير بن محمد عامر الاخضري بالمدينة المنورة وأخذ عنه العلم. توفي بالمدينة المنورة سنة 902هـ ودفن بالبقيع ترك السخاوي تراثا علميا واسعا في الحديث والتاريخ منها.

المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة.

التوبيخ لمن ذم أهل التاريخ.[26]

رحلاته العلمية

مما لا شك فيه أن طلب العلم يتوجب الارتحال إليه والبحث عنه بغية اكتسابه، ولذا قام العلامة محمد الصّغير ابن محمد بن عامر الاخضري برحلات متعددة كان هدفها نهل العلم من منابعه وعن أهله.

[23] ينظر مرآة المحاسن لمحمد العربي القاسي ص 15.

[24] ينظر ترجمة السخاوي في شذرات الذهب 15/8 و17 والبدر الطالع 184/2 للشوكاني دار المعرفة بيروت لبنان

[25] ينظر الأعلام للزركلي 108/4.

[26] ينظر تعريف الخلف برجال السلف 67/1 للحفناوي.

رحلته إلى المغرب الأقصى

جاء في الصفحة مائة وخمسة (105) من الرسالة والورقة الثّلاثون (30) من المخطوط (أ) الموسوم بشرح ألفية ابن مالك – رحمه الله – وعلى لسان العلامة محمد الصّغير كنت سألت مشايخنا بالمغرب الأقصى عن هذه المسألة في كلام ابن مالك–رحمه الله–[27]وأن هذا القول يعزّز في اعتقادنا أنه زار المغرب الأقصى وأقام بها طلبا للعلم عن علمائها وبالأخص العالم الفقيه المصلح الورع عبد الله الهبطي ، متأثرا به في آرائه النحوية التي استشهد بها في شرحه للألفية في أكثر من موضع ، ونلمس ذلك في الورقة الخامسة والسّتين (65) من المخطوط.[28]

رحلته إلى البقاع المقدسة

كانت البقاع المقدسة ممثلة في مكة والمدينة مقصدا لكل العلماء، وكانت منطقة الزاب آنذاك لكل العلماء والرحالة الذين زاروا البقاع المقدسة ومن بين هؤلاء العلامة الفقيه محمد الصّغير لتأدية مناسك الحج والاطلاع على أحوال المسلمين هناك. وقد أشار إلى ذلك العالم السخاوي فقال:" هو ممن سمع مني في المدينة المنورة. "[29]

أثاره العلمية

لم يصلنا من خلال المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها سوى النزر القليل مما ألف العلامة محمد الصّغير بن عامر الاخضري البنطيوسي البسكرى، وهذا في اعتقادنا يعود إلى اهتمامه البالغ بتربية الناشئة وإعدادهم عن طريق التدريس مشافهة بزواية بنطيوس.

ومن مؤلفاته

شرح مختصر خليل،

كتاب في التصوف: هاجم فيه من سماهم بالدجاجلة.

كتاب في علم الحساب والفرائض.

---

[27] ينظر المخطوط (شرح ألفية ابن مالك ص (أ/30) والرسالة 105.

[28] ينظر المخطوط 21 /أ والرسالة 65.

[29] ينظر كتاب علماء منطقة الزيبان للعلامة الشيخ عبد المجيد حبة منشورات جمعية أضواء للثقافة والفنون الدرامية بسكرة أوت1995.

شرح ألفية ابن مالك في النحو.[30]

وفاتـه

كل المصادر والمراجع التي وقعت بين أيدينا لم تشر من قريب أو من بعيد الى تاريخ وفاته، ولقد تنقلت إلى مدينة بسكرة بحثا عن مصادر تدلني على تاريخ وفاته، وقد اتصلت بعلماء المنطقة فأشار الأستاذ الباحث عبد الحليم صيد أن العلامة محمد الصغير كان حيا قبل سنة 945 هـ بدليل أن ابنه عبد الرحمن الاخضري نظم قصيدة القدسية وأشار أن والده قد أجاد في التعبير وفي القول فصدق، إذ دحر[31] أقوال الدجاجلة بحجج دامغة ورد أباطلهم وفندها بأقوال صادقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها إذ قال :[32]

قَد أَحْسَنَ الْوَالِدُ فِي الْعِبَارَةِ * إِذْ قَالَ قَوْلاً صَادِقَ الْإِشَارَةِ
فَقَالَ فِي أُولائِكَ الدّجَاجِلَةِ * مَقَالَةً صَادِقَةً وَعَادِلَةً

وقد تكون هذه الأبيات وكأنها لوالد عبد الرحمان الاخضري، ولا شك أن والد الاخضري – كان يمتلك القدرة على النظم.

فالأخضري يحدثنا في شرح سلمه أنه لما وصل الى هذا البيت:

هَذَا تَمَامُ الغَرَضِ الْمَقْصُودِ * مِنْ أُمّهَاتِ المنْطِقِ الْمَحْمُودِ

أشار له والده محمد الصغير بأن يدخل هذا البيت ضمن نظم سلمه وهو

قَدِ انْتَهَى بِحَمْدِ رَبّ الْفَلَقِ * مَارُمْتُهُ مِنْ فَنّ عِلْمِ الْمَنْطِقِ

يقول الاخضري:

هذا البيت لوالدنا سيدي الصّغير محمد بن محمد" رضي الله عنه وأرضاه"[33]

[30] ينظر تاريخ الجزائر الثقافي ج507/1 لأبي القاسم سعد الله دار الغرب الإسلامي.

[31] ينظر آثار عبد الرحمان الاخضري رسالة ماجستير ص 29 تيبر ماسين والعقد الجوهري ص 25.

[32] ينظر المصدر نفسه ص 29.

[33] ينظر أثار عبد الرحمان الاخضري رسالة ماجستير عبد الرحمان ص 31/30 والعقد الجوهري ص 25.

هذه الدلائل تشير ان محمد الصّغير يحتمل أنه كان حيا أثناء 945 هـ على رأي عبد الحليم صيد وأن وفاته قد تكون ما بين 945 هـ و950 هـ على ما أخبرني به الباحث عبد الحليم صيد.[34]

منهج الشّارح

يعدّ المنهج اللّبنة الأساسيّة في أيّ عمل فكريّ ويختلف المنهج باختلاف الموضوع الّذي يكتب فيه، والفئة الموجّه إليها، فيسعى الشّارح من خلاله إلى تحقيق غايته، وبه تبسط المادّة العلميّة الّتي تبلّغ إلى القارئ وبه تتجمّع المسائل المتناثرة لأيّ علم من العلوم، إذ به تحقّق النّتائج المنتظرة.

لمّا كان هذا المخطوط عبارة عن شرح لمتن الألفيّة من طرف العلاّمة محمّد الصّغير بن محمّد ابن عامر الأخضريّ، فقد جاءت الموضوعات، والأبواب مرتّبة حيث لجأ إلى الشّرح المفصّل، والدّقيق للمسائل النّحويّة المعالجة، وتفسيره للمصطلحات النّحويّة، فكان يركّز على تحليلها، وتوضيحها، وإبراز دلالتها لغرض استيعابها من طرف الطّلبة والمهتمّين باللّغة مثالا عن ذلك قال واوي العين من القول ومضارعه يقول بالضّم.

وأمّا قال يقيل بالكسر فهو من القيلولة[35] فهو ذلك يهدف إلى تعليم الطّلبة المبتدئين ويسهّل عليهم حفظ قواعد اللّغة من نحو، وصرف ويقرّب إليهم فهم المعاني الصّعبة الّتي احتواها المتن ولهذا الغرض يقول العلاّمة محمّد الصّغير توضيح ما انهم في نظم الألفيّة لابن مالك – رضي الله عنه[36] – وبهذا يمتلك محمّد الصّغير خبرة واسعة في فنّ التّعليم، وتلقين العلوم نظرا للأدوات التّعليميّة الّتي استعان بها في شرح الألفيّة منها: التدّرج والتّسلسل في عرض المسائل النّحويّة.

ظاهرة التّحليل النّحوي

لا مناص أنّ الميزة الّتي ينفرد بها العلاّمة محمّد الصّغير بن محمّد بن عامر الأخضريّ في شرحه لألفيّة ابن مالك أنّه يعتمد على التّحليل للمسائل النّحويّة فهو لا يكتفي بجمع

[34] قد تأكدت من هذه المعلومات في بيت الباحث عبد الحليم صيد بمدينة بسكرة بتاريخ 2012/03/31.

[35] ينظر المخطوط 01 / أ والرسالة ص 21.

[36] ينظر المخطوط 01 / أ والرسالة ص 21.

الشّواهد حولها ليثبتها فحسب بل يميل إلى الشّرح، والتّحليل، والتّعقيب ما يدلّ على ثقافته الواسعة وتمكنّه من الدّرس اللّغوي، ولنا في ذلك أمثلة متعدّدة في ثنايا المتن مثل: فأجبت عنه بوجود المعرب في أسماء الأفعال والبناء أصل في الأصل وبوجود المبعد في أفعل من اسم الفاعل وهو الإعراب[37]

ومثال آخر على قدرة المؤلّف على التّحليل والمناقشة قوله فالجواب أن اللّبس يحصل عند الإضافة بين المثنّى، والواحد نحو جاء فتى زيد، يحتمل لفظ فتى الواحدة، والمثنّى لو حذف اللاّم وهذا مأمون في اسم الإشارة لعدم إضافته.[38]

استخدامه لظاهرة السّؤال والجواب

لقد أكثر المؤلّف من طرح الأسئلة على اختلاف أنواعها وهذه الأسئلة في اعتقادنا غايتها الحصول على أجوبة في المسائل النّحويّة وهذا دأب المربّي الّذي يسعى من خلالها إلى جذب المتعلّم إليه تارة، ولفت انتباهه تارة أخرى ثم ما يلبث أن يجيب عنها بصيغة، فالجواب، وقد تضمّن المتن أكثر من ثلاثين مرّة، وهو موزّع على المتن كلّه، إذ يردّ الشّارح على القضايا اللّغويّة المطروحة بنفسه، ولعمري هذه طريقة تربويّة حديثة يلجأ إليها المربّي لجذب المتلقّي وتشويقه للدّرس اللّغوي بطريقة متأدّبة، فعلى سبيل المثال يطرح السّؤال فيقول فكيف يصحّ تفسير الإنشاء بالخبر؟[39]

ثم يشرع في الإجابة إذ يقول قلت هذا من باب النّقل أي انتقل الخبر إلى الإنشاء ثم يقول فإن قلت من أين يخرج الكلام المفيد؟ غير المقصود ككلام السّكران. قلت من قوله كاستقم[40] فلو كانت غايته طرح الأسئلة وانتظار الإجابة من الطّلبة لما كان يجيب مباشرة عليها، فهذه طريقة بيداغوجية يستعملها المربّون لشدّ انتباه المتعلّمين، والحفاظ على تركيزهم إزّاء الدّرس اللّغوي.

[37] ينظر المخطوط ص 17/أ والرسالة ص 65.

[38] ينظر المخطوط ص 22/أ والرسالة ص 79.

[39] ينظر المخطوط ص 2/أ والرسالة ص 25.

[40] ينظر المخطوط ص 2/أ والرسالة ص 25.

ومثال على ذلك: إذ يقول فأين؟ وكيف؟ يقعدان موقع ما قيل (أل) وإن كان لا يقبلان بأنفسهما فأين معناها في أيّ مكان، وكيف معناها على أيّ حال ومكان[41].

ثم يشرع في الإجابة عن الأسئلة المطروحة سلفا فيقول: والتقدير: أي رجل زيد وما هذا معناه أي شيء هذا[42].

ثم يواصل منفصلا الإجابة عن الأسئلة التي طرحت ما يدل على تمكن المؤلف من طريقة تقديم الدروس من خلال إبقاء أذهان المتعلّمين متعلّقة بما يقدّمه لهم.

كما أن المؤلّف لا يكتفي بتوجيه الأسئلة لطلاّبه، وإنمّا يوجّهها إلى مشايخه بطريقة متأدّبة مثل في قوله (هل من خالق غير الله؟)[43] ثم يعقب عليه بقوله: أجاز بعضهم أن يكون فاعلا.[44] وهناك من الأسئلة الكثيرة التي وردت في ثنايا المتن، وقدرة المؤلّف على الإجابة عنها ومثال على ذلك ولماذا يتعلق وما إعرابه؟

وانظر هل ترسم الموصولة متّصلة في الخط [45] كلّها أسئلة هدفها دفع المتعلّم الى التّركيز عليها ثم ما لبث أن يشرع في الإجابة عنها، فيخفّف عناء البحث لطلاّبه عنها فيجعلهم دائما حاضري الذّهن، مركّزين على موضوع الدّرس وتلك هي عين الطّريقة التّربوية المجديّة والنّافعة.

عزو الأقوال إلى أصحابها

لا جرم أن العلاّمة محمّد الصّغير قد أغنى شرحه بأقوال العلماء في كل الأبواب النّحويّة حيث أنّه كلما تطرّق إلى مسألة نحويّة إلاّ واستشهد بكثير من أقوال العلماء من خلال البحث في كتبهم التي أخذ منها القول حيث كان يعزو ذلك إلى أصحابها مثلا قال الجوهري ص (28) قال في التسهيل ص (32) قال في شرح الكافية (40) قال ابن مالك ص (80) قال ابن علاّن ص (21) قال الشّاطبي ص (23) وأحيانا يذكر كنيته ولا يصرّح باسمه مثل قال الإمام وكان يقصد ابن مالك قال شيخنا وكان يقصد العلامة الهبطي.

[41] ينظر المخطوط ص 11/أ والرسالة ص 60.

[42] نظر المخطوط ص 12/أ والرسالة ص 60.

[43] ينظر المخطوط ص 36/أ والرسالة ص 125.

[44] ينظر المخطوط ص 36/أ والرسالة ص .125

[45] ينظر المخطوط ص 30/أ والرسالة ص 105.

أما الثّاني فهي أقوال نسبها إلى أصحابها لكنّه لم يرجع إلى مظانها كما هو ظاهر بل أخذها من كتب أخرى خاصّة أقوال العلماء الأوائل مثل: سيبويه، والاخفش، والفرّاء والشّاطبي.

ومثال على ذلك قوله "ومعنى نزال النّزول وجميعها كناية عمّا فيه (أل) قاله ابن خروف[46]. فالهدف تعليميّ عند المؤلّف في عرضه للمعلومة، وفي ذلك دلالة على حرصه الشّديد على إفادة السّامعين، وحصول الفهم، وتوسيع الإدراك لدى المتعلّمين، وقد أسهب المؤلّف في هذه الطّريقة الحواريّة الممتعة التي تشدّ انتباه القرّاء، فلا يسأمون، ولا يملّون في متابعة محتوى المتن إذ يقول انظر ما فائدة هذه الإضافة؟ فهو بذلك يشدّ القارئ ويرغّبه لمواصلة الاستماع، وكان حقّه أن يذكر، فإن قلت، فالجواب، قول الأستاذ والله اعلم، والله تعالى، اعلم...

إذ تعدّ هذه الطّريقة المتّبعة في شرح الألفيّة من صميم الطّرائق التّعليميّة الحديثة وهي ما يعرف بالوقفات الاستدراكيّة، حتى يلفت انتباه الطّلاب إلى المسائل النّحويّة المطروحة ممّا يعزّز القول أنّه كان يقدّم دروسه مشافهة أمام طلبته.

ميله إلى ظاهرة الإعراب

لجأ المؤلّف إلى ظاهرة الإعراب في متن شرح الألفيّة في أكثر من موقع ممّا يوحى بمعرفته باللّغة العربيّة وأسرارها، وإبراز الفروق بين العلماء في ظاهرة الإعراب حتى يوضّح أكثر ويدقّق في بعض المسائل النّحويّة التي فيها اختلاف، ونلمس هذا في كثير من ثنايا المتن

مثلا قال: هذه عرفات مباركا فيها، فنصب مباركا على الحال ولو كان نكرة[47]

مثلا: قلت في نظر الاحتمال أن تكون الباء متعلّقة باسم الفاعل محذوف يكون حالا من ضمير جمعا[48] مثلا: وقوله :(علمه): مبتدأ خبره اسم يعين المسمى فالفاء عائدة على اسم

[46] ينظر المخطوط ص 12/أ والرسالة ص 53.

[47] ينظر المخطوط ص 8/أ والرسالة ص 42.

[48] ينظر المخطوط ص 8/أ والرسالة ص 43.

وهو معنى الجنس[49] مثلا: نحو قوله: هو الله أحد: فالوجه الآخر أن يكون هو: مبتدأ والله خبر وأحد خبر آخر[50]

قوله: هل من خالق غير الله؟ جوّز بعضهم أن يكون فاعلا أعني غير بخالقِ لاعتماده على أداة الاستفهام نحو أقائم زيد في أحد وجهيه وفيه نظر[51] مثلا: فتقول: أقيام الزّيدون وأنت تعتقد أن "الزّيدون" فاعل[52]

مثلا: أن يكون الخبر فعلا نحو زيد قام وعلّله المصنف للبسه بالفاعل.[53]

إشارته للمسائل الصّرفيّة

لا ريب أن المؤلّف أشار في أكثر من موقع للمسائل الصّرفيّة على اعتبار أن النّحو مرتبط بالصّرف، وكل منهما يخدم الدّرس اللّغوي فمثلا: وأما قال يقيل بالكسر فهو من القيلولة وعينه ياءُ[54].

ومثلا قوله: رُبَّ عينه تحتمل الحركات الثّلاث والسّكون، فالفتح منتف من وجود الإدغام[55]

ومثلا قوله: ومضي هو مصدر أصله مضيُ فأُعِل[56]

ومثلا قوله: تقول في جمعه بالياء والنّون: ديّن وأصله ديينُ [57]

ومثلا قوله: قيل: حذفن في الجزم لنخالف الجزم الرّفع، لأنّه لمّا كان الرّفع بالحركة وهو الأصل فيها ثم استثقلت بقي لفظ الألف، والواو، والياء ساكنا، وكرهوا أن ينوب السّكون فيها

[49] ينظر المخطوط ص 19/أ والرسالة ص 67.

[50] ينظر المخطوط ص 24/أ والرسالة ص 85.

[51] ينظر المخطوط ص 36/أ والرسالة ص 130.

[52] ينظر المخطوط ص 40/أ والرسالة ص 131.

[53] ينظر المخطوط ص 50/أ والرسالة ص 157.

[54] ينظر المخطوط ص 1/أ والرسالة ص 21.

[55] ينظر المخطوط ص 1/أ والرسالة ص 21.

[56] ينظر المخطوط ص 3/أ والرسالة ص 29.

[57] ينظر المخطوط ص 3/أ والرسالة ص 29.

فحذفوها[58]ومثلا فإنّه لم تستعمل بنيته النّكرات، واستعملت مادة: [س.ع.د] في السّعد والسّعاد والسّعدان وغير ذلك[59]

آراؤه النحوية في شرحه لألفيّة ابن مالك رضيّ الله عنه

لقد تفرّد العلاّمة محمّد الصّغير بن محمّد بن عامر الأخضريّ بآراء متميّزة في شرحه لألفيّة ابن مالك ممّا ينمّ عن ِطّلاعه الواسع بالمسائل النّحويّة، ومعرفته بالدّرس اللّغوي، فهو لا يقبل الآراء الّتي يأتي بها علماء آخرين من عصره أو الّذين سبقوه ليعزّز شرحه، بل كان يعمل فكره و يدلي برأيه فيها، وأحيانا يتجاوزها بطريقة متأدّبة، وأحيانا أخرى كان يأتي بالبديل ليظهر مدى اطلاعه الواسع على هذه المسائل النّحويّة على سبيل المثال قال شيخنا ابن مالك – رحمه الله – إنّما تكلّم إلاّ على ما يكون بناؤه لازما، وأمّا ما يعرب في حالة ويبنى في أخرى كالمنادى واسم (لا) فلم يتعرّض له – رحمه الله – إلا أنّي لم أرتض ما قاله شيخنا هذا – رحمه الله[60] –وفي موطن آخر يقول "وحذفت في التّكسير في مثل أعقاب جمع عقبة، لأنّه محلّ تغيير، ولا حجّة لهم في جمع بألف التأنيث أو همزة إذا سميّ به[61] "

فالجواب عن الأوّل أن الباء متعلّقة بجمعا والباء للاستعانة أو السببيّة قلت فيه نظر لاحتمال أن تكون الباء متعلّقة باسم فاعل محذوف يكون حالا من ضمير جمعا أي ما جمع[62] وفي موضع آخر يظهر احترامه الشّديد لشيخه عندما يعلق على ظاهرة نحويّة غير أنّ المؤلّف لا يقبل ذلك، ومثال على ذلك وقد قلت هذا الكلام لشيخنا فاستحسنه، ولم أره نصّا لأحد[63] كما أنّه لا يقتنع بالحجج التي يسوقها شيخه بقوله " أثر هذا ومن ضمير الرّفع وما يستتر إذ فيه إشارة إلى أن ما تقدم من ضمائر الرّفع وهذا اعتذار ضعيف.[64]"

[58] ينظر المخطوط ص 10/أ والرسالة ص 40.

[59] ينظر المخطوط ص 20/أ والرسالة ص 73.

[60] ينظر المخطوط ص 3/أ والرسالة ص.

[61] ينظر المخطوط ص 6/أ والرسالة ص 37.

[62] ينظر المخطوط ص 8/أ والرسالة ص 43.

[63] ينظر المخطوط ص 9/أ والرسالة ص 44.

[64] ينظر المخطوط ص 15/أ والرسالة ص 60.

يقول " فأمّا النّظر الأوّل لا أجد الآن عليه جوابا إلاّ أن يقال تمثيله وهذا اعتذار ضعيف[65]"

يقول فأما النظر الاول لا أجد الآن عليه جوابا الا ان يقال تنفيره وهذا اعتذار ضعيف ومثال آخر:- والنّاظم رحمه الله -لم يأت بهذا القيد بل أطلق القول بأنّها يشار بها إلى المكان وهذا الإطلاق غير صحيح لاقتضائه جواز قولك هناك [66]" .

ثم يواصل المؤلّف إبداء آرائه في المسائل النّحويّة دون تردّد مع احترام كامل لشيوخه وعلى سبيل المثال: فكان من حقّ المصنّف أن يتحرّز من هذا فكان إطلاقه مشكلا.

والجواب عنه أن الصّفة الثّانية جاريّـة على من هي له لا على غير من هي لـه فلا حاجة إلى إبرازه[67]

ويقول في مسألة أخرى قلت " قال معنى كائن، ولم يقل لفظ كائن لئلا يتحتّم كائن أو استقرار إلاّ أنّ في كلامه مغالطة[68].

وقد جاء في المتن: صحّ من سماع شيخنا الهبطي قاله حاكيا عن بعض النّاس نصّوا ذلك ولم أره نصّا[69] وقد تضمّن المتن الكثير من الآراء التي استدلّ بها ونكتفي ببعض منها.

شواهده من القرآن الكريم

لا نكاد نجد المؤلّف يتحدّث عن موضوع أو مسألة نحويّة إلاّ واستشهد لها بشاهد من القرآن الكريم، وقد يعدّد الشّواهد القرآنيّة في المسألة الواحدة وهذا يدلّ على حفظه لكتاب الله من جهة وعمق ثقافته واتّساعه على اعتبار أنّه المصدر الأوّل الذي يعتمد عليه في إرساء القاعدة النّحويّة، وقد بلغ عدد الآيات القرآنيّة التي استعان بها في شرحه للألفيّة ما يزيد عن ستّين آية موزّعة على معظم موضوعات المخطوط، ولنا في ذلك أمثلة متعدّدة منها في قوله تعالى في سورة القصص لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[70]، وقد أتى بهذه الآية

[65] ينظر المخطوط ص 16/أ والرسالة ص63.

[66] ينظر المخطوط ص 24/أ والرسالة ص83.

[67] ينظر المخطوط ص 44/أ والرسالة ص143.

[68] ينظر المخطوط ص 44/أ والرسالة ص146.

[69] ينظر المخطوط ص 49/أ والرسالة ص154.

[70] سورة الحاقة الآية 40.

عندما عرّف القول، وأردفها بأخرى قد تضمّنت القول حين قال : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾[71] حيث استعمل آيتين في تبيان معنى القول ولمّا يشير إلى الكلام المفيد أشار إلى الآية الكريمة وهو قوله ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[72] أي كقول الله فاستقم وكلام الخالق مقصود قطعا، وقد أجبت لهذا الجواب، واستحسنه الأصحاب.

شواهده من الحديث النّبوي الشّريف

استعان المؤلّف ببعض الأحاديث النّبويّة الشّريفة في متن شرح الألفيّة، وذلك لدعم القاعدة النّحويّة، وإبرازها وتنويع الشّواهد، دلالة على تمكنّه من التّراث الإسلامي، وقد تضمّن المتن ثمانية أحاديث ما يعني أن المؤلّف لم يعتمد كثيرا على الأحاديث النّبويّة الشّريفة شأنه في ذلك شأن المتقدّمين من علماء اللّغة الّذين سكتوا عن الاستشهاد بنصوص الحديث على اعتبار أن الأحاديث النّبوية لم تنقل كما سمعت من النّبي صلّى الله عليه وسلّم وإنّما رويت بالمعنى ولم تقل بتلك الألفاظ جميعها، وذلك إشارة إلى الحديث الموضوع والضعيف ومثال على ذلك عندما أشار الشّارح إلى وجوب تقديم الخبر وتأخير المبتدأ حيث قال صلّى الله عليه وسلّم : " مِسْكِينٌ مِسْكِينٌ رَجُلٌ لاَ زَوْجَ لَهُ "[73] والتّقدير رجل مسكين مسكين لا زوج له، وعندما يتحدّث عن المبتدأ ويشخّصه في المثال يستدلّ بقوله صلّى الله عليه وسلّم :" أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا والنّبِيّونَ مِنْ قَبْلِي لاَ إِلَهَ إِلاّ الله "[74]

شواهده من الشّعر العربيّ

اعتمد المؤلف محمّد الصّغير في شرح ألفيّة بن مالك على الشّعر العربيّ وذلك لدعم القاعدة النّحويّة وتأصيلها في مواطن كثيرة من ثنايا المتن وكانت الأشعار المستشهد بها في أغلبها من العصر الجاهلي وبعضها من صدر الإسلام، وكانت موزّعة توزيعا مكينا كلما تعرّض إلى ظاهرة نحويّة إلاّ وعزّزها بجملة من الشّواهد منها الشّعر العربي وقد تميّزت هذه الشّواهد الشّعرية بما يلي:

أن ينسب البيت الشّعريّ أحيانا إلى صاحبه.

---

[71] سورة القصص الآية 51.

[72] سورة هود الآية 112.

[73] ينظر المخطوط ص 50/أ والرسالة ص 157.

[74] ينظر المخطوط ص 52/أ والرسالة ص 136.

أن يقف على الشّاهد الذي يحتاجه لدعم الظّاهرة النّحويّة ولا يهمّه إن كان جزءا منه.

أن يستهلّ البيت الشّعريّ ب (قوله) أو في قوله أو قول الشّاعر دون أن يشير إلى صاحب البيت.

أن يذكر شطرا من البيت إمّا صدره أو عجزه فقط مراعيا في ذلك الشّاهد النحويّ.

أن يذكر عبارة واحدة من البيت الذي تضمن الشّاهد وهذا ما نلمسه غالبا في الألفيّة وبخاصة الصّغرى.

أن يستبدل بمجموعة من الأبيات أي مقطوعة شعريّة وقد يرد فيها شاهدا واحدا او شاهدين وهذا ما لمسناه في الألفيّة الكبرى.

ومن أمثلة الشّعر العربيّ القديم الّذي استشهد به الشّارح قول الشّاعر لبيد بن ربيعة العامريّ إذ يقول[75]

أَلاَ كُلّ شَيْئٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلٌ * وَكُلّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلٌ

وقد ساق هذا البيت عندما أشار الى الكلمة في باب الكلام مع احتمال أن الشّاعر انشد هذا البيت قبل إسلامه وقبل معتقده أيضا والتّقدير ألا كل شيئ خال كونه خاليا عن الله فأوردوه شاهدا لا طلاق الكلمة على الكلام.

شواهده من الألفية الصغرى

لقد اعتمد العلامة محمد الصغير بشكل كبير على أبيات الألفية الصغرى على اعتبار أنّها احتوت على أبواب النحو، رغم أنها اختصار للألفية الكبرى – الكافية الشافية –وللعلامة طريقة خاصة في شرح أبيات الألفية الصغرى، إذ جمع بينها وبين الألفية الكبرى وهذا ما نلحظه في ثنايا المتن كُلّه من بداية المخطوط حتى نهايته وذالك في اعتقادنا دعم للقاعدة النحوية وتعزيز للدرس اللغوي وإثرائه.

كما أنّ المؤلف لا يذكر البيت الشعري كاملا حين الإشارة إلى المسألة النحوية أو الصرفية بل يشير إلى كلمة أو جملة منه ويترك القارئ يعود إلى متن الألفية ليكمل البيت ومثال على ذلك في الصفحة الثانية والعشرين (22)[76] حيث يقول:

[75] ينظر المخطوط ص 2/أ والرسالة ص 25.

[76] ينظر المخطوط 1/أ والرسالة /22.

(لفعلٍ اسما) البيت، وتمام البيت:

لفعلٍ اسماً صحّ عيناً أفعل * وللرّباعي اسماً أيضا يُجْعَلُ

ولنا أمثلة كثيرة في المتن نقتصر على بعض منها في الصفحة التاسعة والعشرين (29)[77]

(وفعل اللازم) البيت وتمامه:

وفعل اللازم بابه فعل * كفرحٍ وكحوى وكشلل.

شواهده من الألفية الكبرى

فالمتأمّل لمتن الألفيّة لابن مالك يجد أن المؤلّف محمّد الصّغير لم يكتف بالاعتماد على الألفيّة الصّغرى؛ أو الشّواهد الشّعرية في مختلف العصور الأدبيّة لرصد الظّاهرة النّحوية، والتّقعيد لها فحسب بل استخدم الكثير من أبيات الألفيّة الكبرى" الكافيّة الشّافيّة " لابن مالك رغبة منه في تطعيم الظّاهرة النّحويّة بمختلف الشّواهد الممكنة حتّى يقنع القارئ من جهة ويحبّب له الدّرس اللّغوي ويكشف عن سعة اِطّلاعه على الآثار الأدبيّة منها الشّعرية وقد بلغت أبيات الألفيّة الكبرى أكثر من ثلاثين بيتا وقد توزّعت على المتن كلّه وعلى حسب كل ظاهرة نحويّة دأبه لعمري إثراء الموضوع وتعميم الفائدة.

ومن بين الشّواهد المعتمدة في هذا الإطار ما تعلّق بضمير الشّأن إذ قال[78]:

وَمُضْمَرُ الشّأْنِ ضُمر فُسّرا * بِجُمْلَةٍ كَأَنّهُ زَيْدٌ سَـرَا

لِلابْتِدَاءِ أَوْ نَاسِخًا لَهُ انْتَسَبَ * إِذَا أَتَى مُرْتَفِع أَوْ انْتَصَبَ

خاتمة

يعدّ محمّد الصّغير بن عامر الأخضريّ البنطويسي البسكريّ رافدا من روافد الدّرس اللّغوي، فقد حافظ على التّراث الجزائري إبّان العهد التّركي واستطاع أن يقدّمه وفق تصوّره ومنهجه الخاص وبأسلوب متميّز، وإنّ شرح الألفيّة لابن مالك في ذلك العصر يُعدّ من الأعمال العظيمة الّتي تشهد للرّجل في العصر التّركي وقد توصّلتُ من خلال هذا البحث إلى نتائج جمّة نفصّلها كالآتي:

[77] ينظر المخطوط 4/أ والرسالة /29.

[78] ينظر المخطوط ص 24 /أو الرسالة ص 84.

تثمين الجهود الجبّارة للعلاّمة محمّد الصّغير فيما قدّمه من أعمال في ذلك العصر وبخاصّة شرحه لألفيّة ابن مالك.

التّعريف أكثر بعلماء الجزائر في العهد التّركي وبأعمالهم.

اعتبار العلاّمة محمّد الصّغير مربّيا وعلما من النّوع الفريد في عصره.

اعتماده على براعة التّحليل وإبداء الرّأي واحترام الآخرين من العلماء.

التّعريف بعالم فذّ من علماء الجزائر عاش في القرن العاشر الهجري من خلال تحقيقنا لمؤلّفه شرح ألفيّة ابن مالك وإخراجه إلى النّور وإبرازه من خلال العلماء الجزائريّين ومناهجهم في دراسة اللّغة.

إسهام العلاّمة محمّد الصّغير في بعث التّراث وبخاصّة اللّغوي ووضعه بين طلبة العلم بأسلوب سهل بعيد عن الغموض.

اهتمام العلاّمة محمّد الصّغير بشرح الألفيّة والتّعليق عليها بالتّركيز على ماانبهم منها على اعتبار أنّها مصدرا من مصادر المعرفة.

قائمة المصادر والمراجع

[1] الإيضاح العضدي لأبي على الفارسي من الكتب النحوية المختصرة طبع عدة مرات تحقيق حسن الدكتور حسن شاذلي فرهود.

[2] تاريخ الجزائر الثقافي 1/ 500 لأبي القاسم سعد الله ط1 دار الغرب الإسلامية بيروت.

[3] تاريخ الجزائر العام عبد الرحمان الجيلالي 3/ 79 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982م.

[4] ترجمة السخاوي في شذرات الذهب 15/8 و17 والبدر الطالع 184/2 للشوكاني دار المعرفة بيروت لبنان.

[5] الجوهر المكنون في الثلاثة فنون رسالة ماجيستير تحقيق ودراسة بقدار الطاهر جامعة وهران.

[6] حاشية المنياوي على شرح الدمنهوري على جوهر المكنون ص7 المطبعة العلمية مصر 1315 هـ

[7] الخصائص لإبن جني من أجلّ الكتب التي تناولت أصول النحو والمباحث الصرفية حققه محمد علي النجار.

[8] عبد الرحمان الأخضري: شخصيته ومواقفه وآثاره فوزي محمودي.

[9] الكتاب لسيبويه: من المصادر في النحو العربي طبع عدة مرات أجودها تحقيق عبد السلام هارون.

[10] كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر 620/2 لابن خلدون تحقيق أبي صهيب الكرمي بيت الأفكار الدولية.

[11] كتاب علماء منطقة الزيبان للعلامة الشيخ عبد المجيد حبة منشورات جمعية أضواء للثقافة

والفنون الدرامية بسكرة أوت1995.

[12] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون151/1 لحاجي خليفة دار الفكر الطبعة السادسة سنة 1360 هـ-1941م.

[13] محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1996.

[14] المخطوط (شرح ألفية ابن مالك ص (أ/30) والرسالة 105.

[15] المقتضب لأبي العباس المبرد من أهم المصادر النحوية حققه عبد الخالق عظيمة.